علم الجرح والتعديل عند أهل السنة ومؤلفاتهم

حفيظ الرحمن بن حكيم عبدالجبار*

The Religion of Islam has been based upon Quran e Majeed and Prophetic Traditions (Hadith e Nabvi SAW). It is by Allah's great favour that He himself took the responsibility to guard both of these bases. Then, if to narrate Muhammad's sayings (Prophetic Traditions) with complete Care and Authenticity, it is necessary to bring into consideration the Hadith Chain of Authority (*Sanad*). While the Correct Hadith Chain of Authority is based upon the Narrations transmitted by men of Integrity and Good Memory who report Prophetic Traditions though different Ages to us. Therefore, to protect the Prophetic Traditions from all Corruption/Impure, the Leading Scholars of Hadith (Aimah e Hadith) have maintained the Biographical Dictionaries of the narrators of Hadith. 'Dr. Springer' also supports the above said in the words, "neither has been throughout the Ages nor is present any Nation in the world who could invent the Greatest Field of Biographical Dictionaries like Muslims did it and invented it. Due to these Biographical Dictionaries, we come to know everything about Five Lac People" (Narrators of Hadith). (Seerat e Nabvi,Shibli, 39/1) The Compiler's of Prophetic Traditions have set Two Conditions for the Acceptance of any Narration/Hadith. The First one is that the Hadith Narrator should be the Man of Integrity. The Second one is that the Hadith Narrator should bear Sound Memory and Protection. So to analyze a Narrator's Integrity and Memory is called Discrediting and Endorsement. And with its help, it is critically studied about the Hadith Narrators to differentiate between Sound (*Saheeh*) and Weak (*Daeef*) Hadith. Therefore, the Leading Scholars of Hadith laid down the Principles of it and compiled Hundreds of Books on Discrediting and Endorsement and such compiled the Biographical Dictionaries as well. They have maintained the Biographies of Lacs of Narrators and due to it, we come to know all about the Hadith Narrators. In this article, I have tried to throw light on the beginning, legality, importance and different Stages of this Field of Discrediting and Endorsement. And along with it, to give an Introduction to Discrediting and Endorsement, I have maintained a Concise Index of the books written in this field.

KEY WORDS: *Ahlus Sunnah, Jarah o Ta'deel, Biographical Dictionaries, Narrators of Hadith.*

تمهيد

إن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها. ومِن آكد آلات

* باحث مرحلة الدكتوراه، قسم الحديث وعلومه، الجامعة الإسلامية العالمية،اسلام آباد

السنن المعِيْنة عليها, ومؤدِّية إلى حفظها: هو علم الجرح والتعديل . ولأهمية هذا العلم وعظيم موقعه في كشف الصحيح من الجريح، قال الإمام علي ابن المديني: " معرفة الرجال نصف العلم ومعرفة فقه الحديث نصف العلم " [1] .

وكذلك قال الحافظ ابن عبد البر: " إن العلم محيط بأن السنن أحكام جارية على المرء في دينه في خاصة نفسه وفي أهله وماله، ومعلوم أن من حُكم بقوله، وقُضي بشهادته، فلا بدّ من معرفة اسمه ونسبه, وعدالته والمعرفة بحاله " [2] .

لذلك اهتم العلماء بتأليف تواريخ الرواة الثقات والمجروحين، ليُعرفوا ويُعرف حكم ما نقلوا لنا من سنن الدين عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

فمن وجدوه عدلاً عدَّلوه, ومَن ثبت لهم أنه مجروح جرحوه, ولم يراعوا في جميع ذلك أيَّة اعتبارات شخصية, اللهمّ إلا الإخلاص لله تعالى, والاحتياط لحفظ سُنّة النبي صلى الله عليه وسلم.

إذاً ليس عجباً إكثار العلماء من البيان لأحوال الرواة, وهَتْك أستار الكذّابين ونفيهم عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتحال المبطلين, وتحريف الغالين, وافتراء المفترين, وهم قاموا بأعظم الجهاد, لا سيما في زمن ظهور الفساد.

وهم حقاً كانوا عدولَ هذه الأمة في حَمل العلم وأدائه, وممن يُرجع إلى اجتهادهم في التوثيق
والتضعيف, والتصحيح والتزييف. والحقُّ أحقُّ أن يُتّبع, فجزاهم الله عن هذا الدين وأهله كلّ خير.

ففي بداية ذكر نشأة علم الجرح والتعديل لابدّ لنا أن نُعرِّف هذا العلم مع بيان مشروعيته.

أولاً: تعريف الجرح والتعديل لغةً واصطلاحاً:

تعريف الجرح لغةً : الجَرْح – بالفتح – جَرَحه يَجْرَحُه جَرْحاً: أَثَّرَ فِيهِ بِالسِّلاحِ؛ وجَرَّحَه: أَكثر ذَلِكَ

فِيهِ. ويقال: جرح الحاكم الشاهد, إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره. وقد قيل ذلك في غير الحاكم أيضاً: جرح الرجل, أي غض شهادته.

وقال الأزهري: ورُوى عن بعض التابعين أنه قال: كثُرت هذه الأحاديث واستَجْرحتْ أي فسدتْ وقلّ صحاحُها. أراد أن الأحاديث كثرت حتى أَحوجت أهلَ العلم بها إلى جرح بعض رُواتها, وردِّ رِوايتِه [3].

والجُرح – بالضم – اسم للجرح [4]. وقال بعض فقهاء اللغة: الجُرح بالضم يكون في الأبدان بالحديد ونحوه؛ والجَرح بالفتح يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها. وقال الزبيدي: وهو المتداوَل بينهم وإن كانا في أصل اللغة بمعنى واحد [5].

تعريف الجرح اصطلاحاً: وقال ابن الأثير: " الجرح ": وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به "[6].

الخلاصة في تعريف الجرح : إن الجرح هو وصف الراوي بما يقتضي تليين روايته أو تضعيفها أو ردّها.

والموصوف بما يقتضي تضعيف روايته لا يخلو تضعيفه من ثلاث حالات:

إما أن يكون تضعيفاً مطلقاً فهذا لا تقبل معه رواية الراوي عند تفرّده بها ولكن تتقوى بالمتابعة من

مثله فترتقي إلى حسن لغيره.

وإما أن يكون تضعيفاً مقيداً بالرواية عن بعض الشيوخ أو في بعض البلدان أو في بعض الأوقات

فيختص الضعف بما قُيد به دون سواه.

وإما أن يكون تضعيفاً نسبياً وهو الواقع عند المفاضلة بين راويين فأكثر فهذا لا يلزم منه ثبوت

الضعف المطلق في الراوي بل يختلف الحكم عليه بحسب قرينة الحال في تلك المفاضلة.

وأما الموصوف بما يقتضي ردّ روايته فهو الضعيف جداً فمن دونه لا يُقوِّي غيره ولا يَتَقوَّى بغيره [7].

تعريف التعديل لغة واصطلاحاً:

تعريف التعديل لغةً: التعديل من العَدْل، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد
الجور,...يقال: فلان من أهل العدالة أي من أهل العدل. والعدل: الحكم بالحق. والعدل من الناس: المرضي
قوله وحكمه. وقال الباهلي: رجل عدل وعـادل: جائـز الشهادة. ورجل عدل: رضا ومَقْنَعٌ في الشهادة. وتعديل الشيء: تقويمه، بحيث يكون مستقيماً [8].

تعريف التعديل اصطلاحاً: قال ابن الأثير: " التعديل": وصف متى التحق بهما -أي الراوي والشاهد- اعتُبِرَ قولهما وأُخِذَ به [9]. وقيل: وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته [10].

والقبول هنا على إطلاقه فيشمل: مَن تُقبل روايته وتعتبر في مرتبة الصحيح لذاته, ومَن تُقبل روايته
وتعتبر في مرتبة الحسن لذاته. وذلك لأن هؤلاء يُحتجُّ بمروياتهم وإن تفاوتت مراتبها.

فالخلاصة في تعريف علم الجرح والتعديل أنه : علمٌ يتعلق ببيان مراتب الرواة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم بتعابير فنِّيَة متعارف عليها عند علماء الحديث، وهي دقيقة الصياغة ومحددة الدلالة مما له أهمية في نقد إسناد الحديث.

وبَيْن علم الجرح والتعديل وعلم الرجال عموم وخصوص، إذْ إن علم الرجال هو العلم الذي يعني بمعرفة الرواة من حيث أحوالهم عدالةً وجرحاً، ويعني أيضاً بما يخدم ذلك ويحققه كمعرفة أسمائهم وأنسابهم وكناهم وألقابهم ومواليدهم ووفياتهم وطبقاتهم، مما يعين على التمييز بينهم ولا سيما مع كثرتهم وتشابه أسمائهم أو أسمائهم وأنسابهم وكناهم إلى غير ذلك مما يوقع في الخلط الشنيع كتضعيف الثقة وتوثيق الضعيف، وردِّ الحديث المقبول وقبول الحديث المردود.

مشروعية علم الجرح والتعديل:

علم الجرح والتعديل من فروع علم رجال الأحاديث، و لم يذكره أحد من أصحاب الموضوعات مع

أنه فرع عظيم، والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عن كثير من
الصحابة والتابعين، فمن بعدهم، وجوز ذلك تورعاً وصوناً للشريعة لا طعناً في الناس.

ومشروعية علم الجرح والتعديل قد تثبت من الأدلة النقلية والإجماع وسيأتي بيانها ممّا يلي:

مشروعية الجرح والتعديل من القرآن:

في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها تزكية أو تجريح كانت نبراسا للمحدثين اقتبسوا منها بعض الألفاظ المفيدة لذاك كما ستأتي:

1- أما في الجرح فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [11]. هذه الآية أصلٌ في اعتبار العدالة والضبط في الرواة, كما أنها دليل في وجوب التّبيّن والتثبُّت من حقيقة خبر الفاسق.

2- وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [12]. ففي هذه الآية تجريح للمنافقين ورميهم بالكذب.

4- وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[13]. وفيها تعديل عام للصحابة الكرام، فهم بشهادة هذه الآية مرضيون.

5- قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [14].
وقال تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [15]. ففي الآية الأولى يأمر الله تعالى بالتثبُّت في الأخبار، والآيات الأخرى يطلب الله تعالى العدلَ والرِّضا في الشهود.

ومعلوم أنَّ الأمر بالتثبت في الأخبار في الآية الأولى عامّ، فالأخبار التي تُنقل عن الله ورسوله تدخل فيها دخولاً أوليًّا.

وطلب الرِّضا والعدل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو دِينٌ للأمَّة، وتشريع لها، وهو المصدر الثاني في التشريع أوْلَى من أن يُطلب في الشهادة.

مشروعية الجرح والتعديل من السنة:

1- في الجرح حديث عائشة رضي الله عنها: " أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: بِئْسَ أَخــو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ ..." [16].

إن في هذا الخبر دليلا على أن إخبار الرجل بما في الرجل على جنس الإبانة ليس بغيبة, إذ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بِئْسَ أَخــو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ ", ولو كان غيبة لم يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما قصد أن ينجي الناس من فحش الرجل وشرّه , بإعلامهم ما علم من حاله وفساد خُلقه, لا أنه أراد ثلبه, وإنما الغيبة ما يريد القائل القدح في المقول فيه.

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم في ذلك الرجل على وجه الذمّ لما كان في ذلك مصلحة شرعية, وهي التنبيه إلى سوء خُلقه ليحذره السامع كما يفيده قوله : " إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ " ولذلك تطلّق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه مدارة له لا مداهنة [17].

2- وقوله صلى الله عليه وسلم في تزكية القرون الثلاثة : " خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " [18].

مشروعية الجرح والتعديل من إجماع أئمة الحديث:

إن جرح الرواة بقدر الحاجة لا يعدّ من الغيبة المحرمة فقد ذكر النووي: إنّ الغيبة تُباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وإن من تلك الأغراض تحذير المسلمين مِن الشر ونصيحتُهم, وذلك من وجوه: منها: جرح المجروحين من الرواة والشُّهود, وذلك جائز بإجماع المسلمين, بل واجب للحاجة [19].

ومن هؤلا الأئمة الذين صرَّحوا بذلك هو شُعْبة بن الحجَّاج وسفيان الثوري ومالك بن أنس وعبدالله

ابن المبارك ويحيى بن سعيد القَطَّان وعبدالرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وعلي بن المَديني وأحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري ومُسْلِم بن الحجَّاج النيسابوري وأبو زرعة الرازي وأبو داود السِّجْستاني وأبو حاتم الرازي والنسائي وابن أبي حاتم وابن حبان والدارقطني وأبو عبدالله الحاكم والخطيب البغدادي والمزي والنووي والذهبي والعراقي وابن حجر والسخاوي وغيرهم من العلماء[20].

من النصوص السابقة يتضح مشروعية ج ـــرح رواة الحديث للضرورة الشرعية وقد حـــكم العلماء بأنه لا يجوز الجرح بما فوق الحاجة, ولا الاكتفاء على نقل الجرح فقط فيمن وجد فيه الجرح والتعديل كلاهما من النقاد، ولا جرح من لا يحتاج إلى جرحه، ومنعوا من جرح العلماء الذين لا يحتاج إليهم في رواية الأحاديث بلا ضرورة شرعية.

فحُوِّز ذلك صونا للشريعة ونفيا للخطأ والكذب عنها. وقد حرّصوا في نقدهم للرجال على الاستهداء بهذه الأغراض فقط:

1- حفظ الدين. 2- تمييز من تُقبل روايته ومن يرد.

3- الاحتساب فيه لله نصرة لديه وذباً عنه. 4- نصحاً للمسلمين.

ثانياً: نشأة علم الجرح والتعديل عند أهل السنة

علم الجرح والتعديل عند أهل السنة لم يكن علما لقيطاً نشأ على غير رِشدة, بل له أصول ثابتة في عمق العصور الفاضلة, فأهل السنة والجماعة عمالقة الحديث وعظماء الجرح والتعديل الذين قاموا بوضع أسس وقواعد غاية في الدقة لجمع الأحاديث وتصحيحها, فبنوا معتقداتهم ومذهبهم على الصحيح فقط من الأحاديث.

ويمكن معرفة نشأة هذا العلم عند أهل السنة منذ ظهوره إلى أن أصبح علماً قائماً بذاته قُعدت فيه القواعد, وصُنفت فيه المصنفاتُ من خلال تقسيم تاريخه إلى المراحل التالية:

المرحلة الأولى: عهد النبوة

أوّل من جرح الرجال وعدَّل نصحًا للأمة هو نبي الهدى صلى الله عليه وسلم، فهو الذي سنَّ هذا المنهج الحكيم من الله لحماية هذا الدين من أهل البدع والأهواء، ولهذا أمثلة منها:

1- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ذي الخويصرة التميمي، فلما قال له ذو الخويصرة: " فقال: يا محمد، اتق الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَلاَ تَأْمَنُونِي "، فسأل رجل من القوم قتله، أُراه خالدَ بن الوليد، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ولى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ " (21).

2- وفي حديث عائشة رضي الله عنها: " أَنَّه اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِي صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ : " ائْذَنُوا لَهُ ، فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ... " الحديث (22).

المرحلة الثانية: عهد كبار الصحابة

يُعتبر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم أوَّل وا مَن تكلَّم وا في علوم السُّنة عمومًا، وعلم الجرح والتعديل خاصَّة، فكانوا رضي الله عنهم يتَّخذون الضوابط اللازمة لصيانة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكانوا يتثبَّتون فيما يُنقل إليهم، فلا يقبلونه إلاَّ بشاهد، وكان أحدُهم يسافر شهرًا لسماع حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحدُهم يصْحَب النبي صلى الله عليه وسلم على مِلْءِ بطنه، حتى يجمعَ ما استطاع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ففي عهد الصحابة بدأت تظهر بوادر التثبت والتحري في قبول الأخبار. وقد كان أبو بكر رضي الله عنه هو أوَّل من تثبت في الأخبار. وهو أوَّل مَن فتَّش عن الرجال من الصحابة. فقصتُه مع الجَدَّة في طلب ميراثها مشهورة في كتب الحديث [23]. والغرض من هذه القصة هو الدلالة على التثبت من قِبل أبي بكر رضي الله عنه في الأخبار، و لم يكتفي براوٍ واحد.

ثم كان بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففعل مثل أبي بكر حين طلب مِن أبي موسى الأشعري مَن يشهد له في الاستئذان, فشهد معه أبو سعيد الخدري رضي الله عنهم [24].

ولهذا قال الذهبي في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " وهو الذي سنَّ للمحدثين التثبت في
النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب " [25].

ولهذا قال ابن حبان: "وهذان – أي أبابكر وعمر رضي الله عنهما – أول من فتش عن الرجال في الرواية وبحثا عن النقل في الأخبار ثم تبعهما الناس على ذلك ... وتشديدهم فيها على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم ذلك توقياً للكذب عليه ممن بعدهم لا أنهم كانوا متهمين في الرواية " [26].

وهذا يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ التحري والتوقي في رواية الحديث، والسؤال والتفتيش عن الرِّجال قد بدأ في فترة مبكِّرة في عهد كبار الصحابة. وهذا الذي ذكر من احتياط بعض الصحابة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتثبتهم من الرواة، لم يكن كثيراً، ولا صريحاً بالاتهام؛ لعدم كثرة دواعيه، لأن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: " أما إني لم أتَّهِمْك ولكن خشيت أن يَتَقَوَّلَ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم " [27].

المرحلة الثالثة: عهد صغار الصحابة ومن بعدهم من التابعين

ومن صِغار الصحابة مَن جَرَح عددًا من الرواة لَمَّا انتشرتِ الفتن، وظهر أصحاب الأهواء, فقد أثنى بعض الصحابة على بعض التابعين, ووردت آثار عنهم في ذمِّ بعضهم أيضاً:

فقد وردعن مجاهد أنه قال: " جاء بُشَير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث، ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تسمع، فقال ابن عباس: " إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابتدرتْه أبصارنا، وأصغينا
إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب، والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف " (28).

وقال ابن حبان وهو يبين سلوك التابعين مسلك أئمتهم من الصحابة في التيقظ من الروايات وانتقاء الرجال: " ثم أخذ مسلكَهم واستنَّ بسُنتهم واهتدى بهديهم فيما استنُّوا من التيقظ من الروايات جماعةٌ من أهل المدينة من سادات التابعين منهم: سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبدالله بن عمر وعلي بن الحُسين بن علي وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة وخارجة بن زيد بن ثابت وعروة بن الزبير بن العوَّام وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وسليمان بن يسار فجَدُّوا في حِفْظ السُّنن والرحلة فيها والتفتيش عنها والتفقُّه فيها ولَزِموا الدِّين ودعوة المسلمين ".

ثم أخذ عنهم العِلم، وتتبع الطُّرق، وانتقاء الرجال، ورحل في جمْع السنن جماعةٌ بعدهم، منهم: الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عُرْوة، وسعد بن إبراهيم في جماعة معهم من أهل المدينة إلاَّ أنَّ أكثرَهم تيقظًا وأوسعهم حفظًا وأدومهم رحلة وأعلاهم همّ " (29).

وكان كلام التابعين في الجرح في ذلك قليلاً أيضاً؛ لقرب العهد بمنبع الوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعامة من تكلم فيه آنذاك إنما كان للمذهب، كالخوارج، أو لسوء الحفظ، أو الجهالة؛ فإنهم لم يكونوا يعرفوا الكذب. ولكن كثرة السؤال عن الإسناد والتفتيش عنه ازدادت بعد وقوع فتنة عبد الله بن سبإاليهودي وأتباعه في آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

روى مسلم بسنده إلى ابن سيرين أنه قال: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّوْا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم " [30].

وكان ذلك السؤال على وجه الدقة في زمن المختار الكذاب وقدكان يعطي الأموال الكثيرة للوضاعين

حتى يضعوا له ما يقوي أمره. قال إبراهيم النخعي: " إنما سئل عن الإسناد أيام المختار, وسبب هذا أنه كثر الكذب على علي في تلك الأيام " [31].

المرحلة الرابعة: عهد أواخرعهد التابعين وعهد كبار أتباع التابعين

في هذه المرحلة اتسعت العناية بنقد المرويات, والكلام على الرجال جرحاً وتعديلاً, وذلك بسبب

انتشار الوضع في الحديث, والفتن السياسية وغيرها من الأسباب التي أدت إلى شيوع الكذب في الرواية.

فانتُقِد الرجالُ خاصة الضعفاء في هذه المرحلة, وحَفظ السُّنن جماعةٌ من أئمة المسلمين، والفقهاء في الدين منهم: سفيان الثوري ومالك بن أنس وشُعْبة بن الحجَّاج وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي وحمَّاد بن سَلَمة واللَّيْث بن سعد وحمَّاد بن زيد وسُفيان بن عُيينة في جماعة معهم . إلاَّ أنَّ من أشدهم انتقاء للسنن، وأكثرهم مواظبة عليها، حتى جعلوا ذلك صناعةً لهم لا يشوبونها بشئ آخر ثلاثة أنفس: مالك، والثوري، وشُعْبة.

وقال الترمذي: " وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال ...., – ثم ذكر اسماء الأئمة ثم قال – وهكذا رُوي عن أيوب السختياني وعبد الله بن عون وسليمان التيمي وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال وضَعَّفوا ... " [32].

المرحلة الخامسة: مرحلة التدوين والتصنيف:

وبدأت هذه المرحلة من أواخر عهد اتباع التابعين إلى أواخر القرن الثالث, وقد ألّف الحفّاظ مصنفات جَمّة في الجرح والتعديل ما بين اختصار وتطويل. فأوّل من جمع كلامه في الجرح والتعديل هو الإمام يحيى بن سعيد القطان. قال فيه أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينيّ مثل يحيى بن سعيد القطان "[33].

وكان هو وعبد الرحمن بن مهدي من أئمة هذا الشأن, ومن تلامـــذة شعبة البارزين في نقد الرجال.

وقال الذهبي: " عبد الرحمن بن مهدي وكان هو ويحيى القطان المذكور قد انتدبا لنقد الرجال وناهيك بهما جلالة ونبلاً, وعلماً وفضلاً, فمن جرحاه لا يكاد والله يندمل جرحه, ومن وثّقاه هو الحجة المقبول, ومن اختلفا فيه اجتهد في أمره, ونزل عن درجة الصحيح إلى الحسن, وقد وثّقا خلقاً كثيراً, وضعّفا آخرين "[34].

ثم أُخِذ عن هؤلاء مسلكُ الحديث والاختبار، وانتقاء الرِّجال في الآثار، حتى رحلوا في جمْع السنن إلى الأمصار، وفتَّشوا المدن والأقطار، وأطلقوا على المتروكين الجَرْح، وعلى الضعفاء القَدْح، وبيَّنوا كيفية أحوال الثقات والمدلِّسين، والمتروكين، حتى صاروا يُقتدَى بهم في الآثار، وأئمَّةً يَسلك مسلكَهم في الأخبار جماعةٌ، منهم: أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين وعلي بن عبدالله المديني وأبو بكر بن أبي شَيْبة وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي وعُبيدالله بن عمر القواريري وزهير بن حرب أبو خيثمة في جماعة من أقرانهم، إلاَّ أنَّ من أورعِهم في الدِّين، وأكثرهم تفتيشًا على المتروكين، وأَلْزمهم لهذه الصناعة على دائم الأوقات منهم كان أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني رحمة الله عليهم أجمعين[35].

ثم أخذ عن هؤلاء مسلكَ الانتقاد في الأخبار، وانتقاء الرِّجال في الآثار جماعةٌ، منهم: محمد بن يحيى وعبدالله الدارمي وأبو زُرْعة الرازي والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأبو حاتم الرازي والنسائي في جماعة من أقرانهم، أمعنوا في الحِفْظ، وأكثروا في الكتابة، وأفْرَطو في الرِّحْلة، وواظبوا على السُّنة والمذاكرة، والتصنيف والمدارسة، حتى أخذ عنهم مَن نشأ بعدَهم من شيوخنا هذا المذهب، وسَلَكوا هذا المسلك، حتى إنَّ أحدهم لو سُئل عن عدد الأحرف في السُّنن لكلِّ سُنَّة منها، عدَّها عدًّا، ولو زِيد فيها أَلِف أو واو، لأخرجها طوعًا، ولأظهرها ديانة،

ولولاهم لدرستِ الآثار، واضْمَحَلَّتِ الأخبار، وعلا أهلُ الضلالة والهوى، وارتفع أهلُ البِدع والعمى، فهُم لأهل البدع قامعون، بالسُّنن شأنَهم دامغون.

وقد ظهرت في هذه المرحلة عدة مؤلفات في هذا العلم لعدد من الأعلام كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وأبي خيثمة وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم الرازي والبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي, والجوزجاني وغيرهم. و لم يكد ينتهي القرن الثالث الهجري حتى كان علم الجرح والتعديل علماً قائماً بذاته له معالمه, ورجاله, وكتبه. وله دور هام في خدمة السنة النبوية الشريفة, وخدمة العلوم الإسلامية بوجه عام.

ثالثاً: أهم مصادر علم الجرح والتعديل عند أهل السنة

لقد قام علماء الحديث من أهل السنة بتصنيف أنواع كثيرة من المصنفات في تراجم الرجال وتاريخهم, وكانت غايتهم الأولى من هذه المؤلفات الكثيرة هي خدمة السنة المطهرة وذب الاقتراء والكذب عنها, وذلك بحصر أسماء جميع من تعرّض لرواية السنة المشرفة ونقل نصوصها, ثم الكلام عنهم وعن حياتهم تفصيلاً من جميع النواحي من حياة الراوي, لا سيما فيما يتعلق بتوثيق الراوي وتجريحه.

وقد استمر الاهتمام بالرجال خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري, وقام علماء الجرح والتعديل من أهل السنة والجماعة بتصنيف كتب في الجرح والتعديل, وجمعوا أقوال المتكلمين الأوائل عن الرواة في كتبهم, حتى أصبحت هذه المصنفات مرجعاً لهذا الفن. وقد نما التصنيف في علم الجرح والتعديل خلال القرن الثالث والرابع واختص بعض هذه المصنفات بالضعفاء وبعضها بالثقات في حين جمع البعضُ الآخر بين الضعفاء والثقات.

وقد ظهرت هذه الأنواع الثلاثة من المصنفات في وقت واحد وذلك في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وشُكِّلَت أقوالُ المتكلمين الأوائل في الرجال قبل تصنيف الكتب مادة رئيسية في هذه المصنفات حيث دونت أقوالهم التي كان أهل الحديث يتناقلونها شفاها كما يتناقلون الحديث، وكذلك فإن المصنفات المتأخرة اعتمدتْ على المصنفات الأولى ونقلتْ أقوالَ مؤلفيها في الرجال فلا يخلو مصنَّف في

الجرح والتعديل من كلام يحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل. وقد استخدمتْ مصنفاتُ الجرح والتعديل الألفاظَ التي أطلقها المحدثون القدماء للدلالة على جرح الرواة أو تعديلهم. وفي بداية ظهور المصنفات نقل المصنفون عبارات السابقين في الجرح والتعديل.

يمكن تصنيف المؤلفات في الجرح والتعديل إلى ثلاثة أصناف, ومنها:

1- التي تناولت الضعفاء من الرواة فقط. 2- و التي تناولت الثقات.

3- والتي جمعت بين الثقات والضعفاء.

وقد تُقدم التصنيف في الضعفاء وفي الجمع بين الثقات والضعفاء على أفراد الثقات في تصنيف, حيث ألف يحيى بن معين أول مصنف في الضعفاء، وكذلك أول مصنف في الجمع بين الثقات والضعفاء.

أما كتب الثقات فأول من صنف فيها أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي, وكذلك فإن التصنيف في الضعفاء أكثر من التصنيف في الثقات فقد صنف في الضعفاء حتى نهاية القرن الخامس الهجري عشرون مصنفا ولم يصنف خلال هذه الفترة في الثقات سوى أربع مصنفات.

أما المصنفات التي تجمع بين الثقات والضعفاء فهي كثيرة أيضا وما صنف منها خلال القرون الثالث والرابع والخامس يبلغ أربعين مصنفا.

وسيُذكر فيما يلي أشهر الكتب في الجرح والتعديل مع ذكر أسماء المصنفين بترتيب الزمن.

أولاً: كتب الضعفاء:

أول من عرفته صنف في الضعفاء:

1- يحيى بن معين (ت 233هـ) [36].

2- وعلي بن المديني (ت 234هـ) في كتابه " الضعفاء من رجال الحديث " [37].

3- ومحمد بن عبد الله البرقي (ت249هـ) [38].

4- وأبو حفص الفلاس (ت 249هـ) له جزء صغير فيما ذكر ابن خير [39].

5 و 6- ومحمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ) في كتابيه الضعفاء الكبير والصغير .

7- وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت 277 هـ) في كتابه " الضعفاء " [40] .

8- وأبو عثمان البرذعي (ت 292 هـ) في كتابه " الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث ".

9- وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (ت 259هـ) في كتابه " الشجرة في أحوال الرجال ".

10- وأبو زرعة الرازي (ت 264هـ) في كتابه " الضعفاء ".

11- والنسائي (ت 303هـ) في كتابه " كتاب الضعفاء والمتروكين ".

12- وأبو محمد ابن الجارود (ت 307هـ) في كتابه " الضعفاء " [41].

13- أبو يحيى زكريا الساجي (ت 307هـ) [42].

14- وابن خزيمة محمد بن إسحاق (ت311هـ) في " الضعفاء " [43].

15- ومحمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت 320هـ).

16- وأبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت 322هـ) في كتابه " الضعفاء الكبير ".

17- وعبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني (ت 323هـ) [44].

18- وأبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ) [45] .

19- وأبو علي سعيد بن عثمان بن السكن (ت 353 هـ) [46] .

20- ومحمد بن حبان البستي (ت 354هـ) في كتابه " معرفة المجروحين من المحدثين ".

21- وعبد الله بن عدي الجرجاني (ت 365هـ), في كتابه " الكامل في ضعفاء الرجال ".

22- وأبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي (ت 367هـ) [47].

23- وأبو أحمد الحاكم الكبير (ت 378هـ) في كتابه " الضعفاء ".

24- والدارقطني (ت 385هـ) في كتابه " كتاب الضعفاء والمتروكين ".

25- وعمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين البغدادي (ت 385هـ) في " الضعفاء ".

26- والحاكم النيسابوري (ت 405هـ) في " المدخل إلى الصحيح " ضمن كتابه المستدرك .

27- وأبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) في " الضعفاء ".

28- والخطيب البغدادي (ت 463هـ) في كتابه " الضعفاء " [48] .

29- وأبو الفضل بن طاهر المقدسي (ت 507هـ). في كتابه " الذيل على الكامل " ويسمى أيضا " تكملة الكامل " وهو ذيل على كتاب الكامل لابن عدي.

30 و 31- والذهبي (ت 748هـ) في كتابيه " المغني في الضعفاء ", و" ميزان الإعتدال ".

32- وابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) في " لسان الميزان ".

وقد فقدت معظم هذه الكتب، وأقدم ما وصل إلينا منها كتاب " الضعفاء الكبير ", وكتاب " الضعفاء الصغير " لمحمد بن إسماعيل البخاري.

ثانياً: كتب الثقات:

أول من صنَّف في الثقات.

33- علي بن عبد الله المديني, في كتابه " الثقات والمتثبتون " عشرة أجزاء [49] .

34- والعجلي في كتابه " معرفة الثقات ". 35- ثم أبو العرب محمد بن أحمد تميم القيرواني.

36- وابن حبان في كتابيه " كتاب الثقات ". 37- و " مشاهير علماء الأمصار ".

38- ثم عمر بن بشران السكري [50]. 39- وعمر بن أحمد بن شاهين الواعظ في كتابه " تاريخ أسماء الثقات ".

40- ثم أبو عبد الله الحاكم في " المدخل إلى الصحيحين ".

ثم القطع التأليف في هذا النوع من كتب الرجال حتى القرن الثامن الهجري حيث ظهرت بعض المصنفات فيه، منها:

41- قد ألّف ابن أيبك السروجي في الثقات و لم يكمل, وأسماء الأحمدين منه فقط في مجلد, وثبت ذكر فيه كثيراً من الكتب والأجزاء [51].

42- والذهبي " الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم "[52].

43- وابن قطلوبغا أيضاً " الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة " [53].

وقد بقي من هذه المصنفات الأُولى كتاب الثقات للعجلي, وكتابا " الثقات " و" مشاهير علماء الأمصار " لابن حبان, وكتاب " الثقات " لعمر بن أحمد بن شاهين الواعظ. فأما كتاب " الثقات " للعجلي فقد وصل إلينا الجزء الثاني من أصله.

ثالثاً: الكتب المصنَّفة بين الثقات والضعفاء:

44- صنف في ذل ابن سعد في كتابه " التويخ " [54]. 45- وعبد الله بن المبارك في " التويخ " [55].

46- وضمرة بن ربيعة في كتابه " التويخ " [56]. 47- والفضل بن دكين في " التويخ " [57].

48- ومحمد بن سعد في " الطبقات الكبرى ".

49 و50- ويحيى بن معين في كتابيه " معرفة الرجال " و" التويخ والعلل ".

51- وعلي بن المديني في كتاب " التويخ " في عشرة أجزاء حديثية [58].

52- وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة في " التويخ ".

53- وأحمد بن حنبل في كتاب " العلل والرجال ".

54- وابن العمار الموصلي في مؤلفه " كتاب في علل الحديث ومعرفةالشيوخ " [59].

55- وأبو حفص عمرو بن علي الفلاس في كتابه " التويخ " . ويقع في 3 أجزاء ثالثها فيه العلل.

56 و 57 و 58- والبخاري في كتابه " التاريخ الكبير ", و" التاريخ الأوسط ",و"التاريخ الصغير".

59- والمفضل بن غسان الغلابي في كتابه " التاريخ " [60].

60- وإبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني في كتاب " الجرح والتعديل ".

61- وأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي في كتاب" الجرح والتعديل ".

62- ومسلم بن الحجاج النيسابوري في كتاب " رواة الاعتبار ".

63- وأبو زرعة الرازي في كتابه "التاريخ".

64- وحنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني في كتاب " التاريخ " [61].

65- محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في "التاريخ" [62].

66- وابن أبي خيثمة في كتاب "التاريخ الكبير" وهو كثير الفوائد [63].

67- وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي في كتاب " التاريخ " [64].

68- وأبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي في مؤلفه "كتاب التاريخ " [65].

69- وأبو العباس أحمد بن علي الأبار في مؤلفه " كتاب التاريخ " [66].

70- ومحمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي مطَيَّن في تويخه [67].

71- وأبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه " التويخ " [68].

72- والنسائي في كتاب " التمييز " [69].

73- وأبو العباس محمد بن إسحاق السراج الثقفي في تويخه [70].

74- وعبد الله بن أحمد البلخي في كتاب " قبول الأخبار ومعرفة الرجال ".

75- والحسين بن إدريس الهروي كتاب " التاريخ " على نحو " التاريخ الكبير" للبخاري [71].

76- وعبد الله بن علي بن الجارود في كتاب " الجرح والتعديل ".

77- وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في كتاب " الجرح والتعديل ".

78- وأبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني في مؤلفه " كتاب ثقات المحدثين وضعفائهم " [72].

79- وأبو أحمد محمد بن أحمد العسال في " التاريخ " [73].

80- وابن حبان البستي في كتاب " أوهام أصحاب التواريخ " في عشرة أجزاء [74].

81- والدارقطني حيث ذيل على المحمدين خاصة من التاريخ الكبيرللبخاري [75].

82- وأبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ في كتابه " التاريخ ", ويذكر الذهبي أنه يقع في مائة وخمسين جزءاً [76].

83- وأبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي [77] في كتاب " الإرشاد في معرفة المحدثين ".

84- وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي [78] في كتاب " الجرح والتعديل ".

85- والتكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل: لابن كثير, طبع حديثاً [79]. وقد فُقدت معظم هذه المصنفات.

وقد تفنَّن الأئمة الجرح والتعديل أيضاً جيلاً بعد جيل في تنويع هذه المصنفات وتقسيمها وتفريعها غير ثلاثة أصناف التي تقدم ذكرها, وسيُذكرمنها ما يلي:

رابعاً: كتب السؤالات:

سؤالات تلاميذ يحيى بن معين له, ومنها:

86- سؤالات عباس الدوري " التاريخ " [80].

87- سؤالات ابن الجنيد [81].

88- سؤالات عثمان الدارمي [82].

89- سؤالات ابن أبي شيبة ابن المديني.

سؤالات تلاميذ أحمد بن حنبل له, ومنها:

90- سؤالات أبي داود في جرح الرواة وتعديلهم.

91- سؤالات أبي بكر أحمد الأثرم [83].

92- سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي.

93- سؤالات الآجري لأبي داود السجستاني.

سؤالات تلاميذ الدرقطني له, ومنها:

94- سؤالات أبي عبد الله الحاكم النيسابوري.

95- سؤالات البرقاني [84].

96- سؤالات السُّلَمي [85].

97- سؤالات حمزة السهمي [86].

98- سؤالات أبي عبدالله ابن بكير [87].

99- سؤالات مسعود السجزي للحاكم [88].

100- سؤالات الحافظ السِّلَفي [89] لخميس الحَوزي [90] عن جماعة من أهل واسط.

خامساً: كتب العلل:

101- العلل لعلي ابن المديني.

102- العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل, رواية ابنه [91], وغيره.

103 و 104- العلل الكبير, والعلل الصغير كلاهما للترمذي.

105- العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدار قطني.

سادساً: الكتب المصنَّفة في رجال مخصوصة:

رجال الصحيحين أو أحدهما:

106- رجال صحيح البخاري للكلاباذي [92].

107- تسمية من أخرجه لهم البخاري ومسلم للحاكم.

108- البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح ومسّ بضرب من التخريج لأبي زرعة الرازي.

109- رجال صحيح مسلم لأبي بكر ابن منجويه الأصبهاني.

110- التعديل والتخريج لمن أخرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد.

111- الجمع بين كتابي أبي نصر الكلابازي وأبي الشيخ الأصبهاني [93] في رجال البخاري ومسلم لأبي الفضل ابن طاهر المقدسي.

شيوخ الأئمة الستة:

112- المعجم المشتمل في ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبّل لابن عساكر.

رجال الكتب الستة وملحقاتها:

113- الكمال في أسماء الرجال لعبد الغني المقدسي [94]. 114- تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي.

115 و 116- تذهيب التهذيب, والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة كلاهما للذهبي.

117- إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين المغلطاي [95].

118 و 119- تهذيب التهذيب, و تقريب التهذيب كلاهما لابن حجر.

120- نهاية السؤال في رواة الستة الأصول لبرهان الدين الحلبي [96], و لم يطبع كاملاً.

سابعاً: زوائد رجال الأئمة الأربعة:

121 - تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر.

ثامناً: معرفة المدلسين:

122- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر.

123- إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ لحمّاد الأنصاري [97].

تاسعاً: معرفة ذوي الإرسال:

124- المراسيل لعبد الرحمن بن أبي حاتم. 125- المراسيل لأبي داود.

126- جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي [98].

عاشراً: معرفة المختلطين والوضاعين:

127- كتاب المختلطين للعلائي.

128- الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط لسبط ابن العجمي.

129- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لابن الكَيَّال [99].

130- الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لسبط ابن العجمي.

إلى غير ذلك من كتب أهل السنة في الجرح والتعديل التي تركتُ ذكرها لكي لا يطول هذا البحث.

الحادي عشرً: معرفة الطبقات:

أما مناهج المحدثين في تصنيف الرواة على الطبقات فاختلفت، فكتب الطبقات التي وصلتنا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب طبقات شاملة، التي تعرضتْ لذكر المحدثين كافة، منها " الطبقات الكبرى " لابن سعد , و" كتاب الطبقات " لخليفة بن خياط , ومن أشهر ما صنف في هذا الباب كتاب " المعين في طبقات المحدثين " للحافظ الذهبي. لكونه تتبع أكبر فترة زمنية ممكنة فاستفتح باسم النبي صلى الله عليه وسلم وختم بأبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار الدمشقي (ت 730هـ). ولكنه مختصر جدًا.. ليس فيه سوى سرد الأسماء، ويتميز بدقة تصنيف الرواة على الطبقات لمقدرته العلمية الفذة التي اكتسبها من خبرته بالرواة، لأنه صنف كتبه الثلاثة " تاريخ الإسلام "، و" سير أعلام النبلاء " و" تذكرة الحفاظ " على الطبقات.

القسم الثاني: كتب الطبقات الخاصة بمحدثي بلد من البلدان، أو مصر من الأمصار، كـ" طبقات علماء إفريقية " لأبي العرب محمد بن أحمد القيرواني, وهو من أقدم ما صنف في طبقات الأفارقة. استقصى فيها جميع رواة الحديث من الصحابة

فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء ممن دخل إفريقية حتى زمنه قريبًا من منتصف القرن الرابع، و" طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها " لأبي الشيخ الأصبهاني.

القسم الثالث: كتب شبيهة بكتب الطبقات من حيث أنها تناولت الرواة بطريقة جماعية، متوخية علاقة معينة تجمع الكل, وهي أنواع:

الأول: الكتب التي جمعتْ شيوخ رواة محدث معين أو أصحابه، منها كتاب " رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين " للإمام مسلم بن الحجاج.

الثاني: كتب معرفة الإخوة والأخوات.. ومن أشهرها كتاب " تسمية الإخوة الذين روي عنهم
الحديث " لأبي داود السجستاني .

الثالث: كتب صُنفت لعلاقة تجمع بين المترجمين، وهذه كثيرة ومتنوعة، وإن لم تكن على الترتيب الطبقي فإنها تلتحق به من أجل هذه العلاقة أو الصفة الجامعة:

1 -في أسماء المدلسين كـ" طبقات المدلسين " للحافظ ابن حجر.
2 -في أسماء المخضرمين كـ" تذكرة الطالب المعلم بمن يقال له مخضرم " للحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي.
3 -في أسماء المختلطين كـ" الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات " لابن الكيال.
4 -و" طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث " للإمام أبي بكر البرديجي (100).

وهذه مجرد بعض أمثلة لنظائر الكتب التي تلحق بالطبقات ويطول بنا المجال لو استقصيناها.

وأخيراً أقول !!! قد عرفنا نشأة علم الجرح والتعديل عند أهل السنة منذ ظهوره إلى أن أصبح علماً قائماً بذاته قعدتْ فيه القواعد, وصنّفت فيه المصنَّفات من خلال تقسيم تاريخه إلى خمسة مراحل التي تقدم ذكرها آنفاً.

ويظهر من هذا أن لعلماء أهل السنة في علم الجرح والتعديل خبرة واسعة وتمحيصاً دقيقاً لأحوال الرواة, فميزوا بين روايات الراوي في جميع شيوخه وأحواله وأطوار حياته وأماكن رحلاته، حتى ميزوا بين روايات الراوي عن شيخه في زمان دون زمان ومكان دون مكان، ومراتب تلاميذ الشيخ الواحد ومن يقدم من تلاميذه على غيره.

لذلك اهتم العلماء بتأليف تواريخ الرواة الثقات والمجروحين، ليُعرفوا ويُعرف حكم ما نقلوا لنا من سنن الدين عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. فمن وجدوه عدلاً عدَّلوه, ومَن ثبت لهم أنه مجروح جرحوه, و لم يراعوا في جميع ذلك أيَّة اعتبارات شخصية, اللهمّ إلا الإخلاص لله تعالى, والاحتياط لحفظ سُنّة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وقد تنوعت مؤلفات علماء أهل السنة والجماعة في علم الرجال، وهذه المصنفات القيمة إن دلت فإنها تدل على العناية الفائقة والجهود العظيمة والدقة المتناهية التي قام بها علماء أهل السنة والجماعة لمعرفة أسماء الرواة وتمييزها وبيان حال كل رجل حتى لا يكاد يوجد راوٍ في القرون الثلاثة الأولى له مشاركة في الرواية إلا وقد عُرف شخصه وبُيِّن حاله.

فنرى أنهم قد صنّفوا كتب في الجرح والتعديل إلى عدة أصناف ومجموعات كما تقدم بيانها.

منها: كتب الضعفاء: صنفوا فيه أكثر من اثنين وثلاثين كتاباً.

منها: كتب الثقات: صنفوا فيه أكثر من أحد عشر كتاباً.

منها: الكتب المصنَّفة بين الثقات والضعفاء: صنفوا فيه أكثر من اثنين وأربعين كتاباً.

منها: كتب السؤالات: صنفوا فيه أكثر من خمسة عشر كتاباً.

منها: كتب العلل: صنفوا فيه أكثر من خمسة كتب.

منها: الكتب المصنَّفة في رجال مخصوصة: صنفوا فيه أكثر من ستة عشر كتاباً.

منها: كتب معرفة المدلسين وذوي الإرسال:صنفوا فيه أكثر من أربعة كتب.

منها: كتب معرفة المختلطين والوضاعين: صنفوا فيه أكثر من أربعة كتب.

منها: كتب الطبقات:صنفوا فيه أربعة عشر كتاباً.

فمجموعها مائة وثلاثة وأربعين (143) كتاباً, فمكتبة أهل السنة مكتبة عظيمة مكتظمة بمثل هذه
المؤلفات, والحمد لله على ذلك.

وهذه المجموعات وأعداد الكتب المذكورة قد ذكرتها إلى القرن العاشر غير محصورة فيها, لكني ذكرتها مراعية لجانب الاختصار.

الهوامش

(1) أبو داود: السِّجِسْتاني سليمان بن الأشعث, سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل, تحقيق: محمد علي قاسم العمري, الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية , ط: 1, 1403 هـ - 1983م. ص29.

(2) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي, الاستيعاب في معرفة الأصحاب، في المقدمة تحقيق: علي بن البجاوي، دار الجيل, بيروت، ط: 1, 1412هـ - 1992م. ج 1 ص 19.

(3) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري , لسان العرب نشر أدب الحوزة. إيران, في مادة "جرح".

(4) الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الهروي, تهذيب اللغة, دار إحياء التراث العربي, بيروت. ط:1, 2008م. الزبيدي: أبو الفيض محمد بن محمد مرتضى الحسيني , تاج العروس, منشورات دارمكتبة الحياة, بيروت, في مادة "جرح".

(5) تاج العروس, في مادة "جرح".

(6) ابن الأثير: أبو السعادات مبارك بن محمد الجزري, جامع الأصول في أحاديث الرسول: تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني. 1391هـ - 1971م, ج 1 ص 126.

(6) الأعظمي: د. محمد ضياء الرحمن, دراسات في الجرح والتعديل, مكتبة الغرباء الأثرية, المدينة المنورة, ط: 1, 1415 هـ - 1995م. ص 54.

(7) د. عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف, ضوابط الجرح والتعديل, مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, ط: 1, 1412 هـ, ص10 .

(8) انظر: لسان العرب مادة "عدل".

(9) جامع الأصول ج 1 ص 126.

(10) حاتم العوني: ابن عارف بن ناصر الشريف, خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل, دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع, ط:1, 1421 هـ, ص 6.

(11) سورة الحجرات: 6.

(12) سورة المنافقون: 1.

(13) سورة الفتح: 18.

(14) سورة الطلاق: 6.

(15) سورة المآئدة: 95.

(16) البخاري: محمد بن إسماعيل, الجامع الصحيح, مكتبة دار السلام, الرياض, ط 2, 1419 هـ / 1999م, كتاب الأدب: باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً برقم (6302).

(17) ابن حجر: أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق: فتح الباري, عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة, ج 10 ص 454.

(18) الجامع الصحيح, في كتاب الشهادات : باب لا يشهد علي شهادة جور إذا أشهد برقم (2651). عن عمران بن حصين.

(19) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف, رياض الصالحين, تحقيق: شعيب الأرنؤوط, مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان, ط: 3, 1419هـ - 1998م, ص 432.

(20) انظر: العقيلي: محمد بن عمرو المكي, الضعفاء الكبير, تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. دار المكتبة العلمية, بيروت, ط: 1, 1404 هـ - 1984م, ج 1 ص 11-13. وابن أبي حاتم: عبد الرحمن الرازي, تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل, طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن, الهند. دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط:1, 1271 هـ - 1952 م, ص 5. والذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان, ومقدمة الذهبي في ميزان الاعتدال, دار المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت. ط : 1, 1382هـ - 1963م, ج 1 ص1-3. وفتح الباري ج 10 ص 469-471.

(21) الجامع الصحيح, كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿ تَعْرُجُ الْمَلآئِكَةُ وَالرُّوْحُ ﴾

(7432) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وذو الخويصرة التميمي: كان غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق.

(22) الجامع الصحيح, كتاب الأدب: باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً برقم (6302).

(23) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى, سنن الترمذي, تحقيق: بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي, بيروت. 1998م. كتاب الفرائض: باب ما جاء في ميراث الجدة برقم (2101). وفيه : قال أبو بكر رضي الله عنه للجدة: " فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس ..." .

(24) أخرجه البخاري في كتاب الطب: باب التسليم والاستئذان ثلاثا برقم (6245).

(25) الذهبي: تذكرة الحفاظ, دار الكتب العلمية بيروت, لبنان, ط: 1, 1374 هـ, و1419 هـ - 1998م, ج 1 ص6.

(26) ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم التميمي, مقدمة كتاب المجروحين, تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط: 1, 1396 هـ, ج 1 ص 38.

(27) أبو داود: سنن أبي داود, بتحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, بيروت, كتاب الأدب: باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان برقم (5184). وصححه الألباني.

(28) صحيح مسلم في المقدمة، باب النهى عن الرواية الضعفاء, ج 1ص13.

(29) مقدمة المجروحين ج1 ص 38.

(30) مقدمة صحيح مسلم, باب بين أن الإسناد من الدين 15/1.

(31) الشيباني: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل, العلل ومعرفة الرجال, تحقيق: وصي الله بن محمد عباس, دار الخاني, الرياض, ط: 2, 1422 هـ - 2001م, ج 3 ص 380.

(32) الترمذي: علل الترمذي, بشرح ابن رجب, تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد. ط: 1, 1407 هـ - 1987م, ص 347.

(33) ميزان الاعتدال ج1 ص1.

(34) الذهبي: ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل , تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر, بيروت, ط: 4, 1410 هـ - 1990م, ص 172.

(35) انظر: مقدمة المجروحين ج 1 ص 49.

(36) د. فؤاد سزكين التركي, تاريخ التراث العربي: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, 1411 هـ ص292.

(37) أشار إلى تأليفه البلياني: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي, صاحب هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين, دار إحياء التراث العربي، بيروت, ج 1 ص 671. وهو مصدر

متأخر و لم يوجد في المصادر القديمة ما يؤيده والله أعلم.

(38) قال الذهبي: هو مؤلف كتاب (الضعفاء), انظر: السير أعلام النبلاء, تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأنؤوط, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط: 3, 1405 هـ - 1985م, ج 13 ص 46.

(39) ابن نديم: محمد بن إسحاق البغدادي, الفهرست, دار المعرفة, بيروت, ط: 2, 1418هـ 1997م, ص 212.

(40) الذهبي: المغني في الضعفاء, دار الكتب العلمية, بيروت ط: 1, 1418هـ- 1997م.

(41) ابن حجر: تهذيب التهذيب, دار صادر، مصور من طبعة حيدر آباد هند، 1325هـ, ج 3 ص 222.

(42) كحاله: عمر بن رضا الدمشقي, معجم المؤلفين, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ج 4 ص 184.

(43) مقدمة الضعفاء للذهبي ج 1 ص 4.

(44) معجم المؤلفين ج 6 ص 191.

(45) السير ج 15 ص 394, ومعجم المؤلفين ج 8 ص 243.

(46) تذكرة الحفاظ ج 3 ص 937, السير ج 16 ص 117.

(47) الزركلي: خير الدين, الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين, دارالعلم للملايين، بيروت، ط : 15, 2002م ج 6 ص 98.

(48) مقدمة الضعفاء للذهبي ج 1 ص 5.

(49) علل الترمذي مع شرح ابن رجب ج 1 ص 216 .

(50) السير ج 16 ص 269.

(51) معجم المؤلفين ج10 ص 310.

(52) انظر: الفصل الأول, حياة الذهبي ومترلته العلمية, في مقدمة المحقق في السير ج 1 ص 80 .

(53) معجم المؤلفين ج 8 ص 111, الأعلام ج 5 ص 108.

(54) معجم المؤلفين ج 8 ص 162.

(55) الفهرست لابن نديم ص 319.

(56) السير ج 9 ص 325.

(57) معجم المؤلفين ج 8 67.

(58) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن, الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ, الناشر دار الكتب العربي، ص 588.

(59) البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي, التوبيخ بغداد, دار الكتب العلمية, بيروت, ط: 1, 1417هـ, ج 2 ص 232.

(60) تاريخ بغداد ج 7 ص 50، الإعلان بالتوبيخ ص 524.

(61) معجم المؤلفين ج 4 ص 86.

(62) تذكرة الحفاظ ج 2 ص 636.

(63) الإعلان بالتوبيخ ص 588.

(64) الفهرست ص 325.

(65) معجم المؤلفين ج 5 ص 163.

(66) الأعلام ج 1 ص 170.

(67) تذكرة الحفاظ ج 2 ص 192, معجم المؤلفين ج 10 ص 218.

(68) الكتاني: أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر الإدريسي, الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة, تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي. دار البشائر الإسلامية, ط: 6, 1421هـ-2000م, ص 111.

(69) تهذيب التهذيب ج 1 ص 356.

(70) تاريخ بغداد ج 1 ص 250.

(71) الأعلام ج 2 ص 233, الإعلان بالتوبيخ ص 588.

(72) طبقات علماء أفريقية وتونس لأبي عرب ص105

(73) معجم المؤلفين ج 8 ص226.

(74) الإعلان بالتوبيخ ص 558.

(75) المصدر السابق ص 588.

(76) تذكرة الحفاظ ج 16 ص 432.

(77) السير ج 17 ص 666.

(78) الأعلام ج 3 ص 125.

(79) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 86-91 بتصرف يسير مع زيادات مفيدة.

(80) معجم المؤلفين ج 5 ص 63.

(81) تاريخ بغداد ج 6 ص 120, السير ج 12 ص 631.

(82) تذكرة الحفاظ ج 2 ص 177, معجم المؤلفين ج 6 ص 254..

(83) معجم المؤلفين ج 2 ص 167.

(84) معجم المؤلفين ج 2 ص 74.

(85) السير ج 11 ص 55, معجم المؤلفين ج 9 ص 259.

(86) معجم المؤلفين ج 4 ص 82.

(87) الأعلام ج 2 ص 231.

(88) معجم المؤلفين ج 2 ص 72.

(89) السير ج 13 ص 2, معجم المؤلفين ج 2 ص 75.

(90) معجم المؤلفين ج 4 ص 130.

(91) الأعلام ج 4 ص 65.

(92) معجم المؤلفين ج 2 ص 95.

(93) معجم المؤلفين ج 4 ص 120.

(94) السير ج 13 ص 101, معجم المؤلفين ج 5 ص 275.

(95) الأعلام ج 7 ص 275.

(96) الأعلام ج 1 ص 65.

(97) هو العلاّمة أبو عبد الباري حمّاد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي – نسبة إلى سعد بن عبادة الصحابي الجليل –, ولد سنة 1343 هـ. أستاذ مشارك بقسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(98) الأعلام ج 2 ص 321.

(99) الأعلام ج 2 ص 49

(100) السير ج 9 ص 170, معجم المؤلفين ج 2 ص 198.